أفراسياب

AFRASIAB

الدكتور

محمد نور الدين

أفراســـياب Afrasiab :

- ملك تركي قديم كان -على الأرجح - معاصراً لبعض الأباطرة الفرس الأقـــدمين من سلالة الأخمينيين، اسمه الأصلي في التركية " ألب تونغا " ..ولكنه اشـــتهر عند مؤرخي الفرس وشعرائهم باسمه الفارسي " أفراسياب" ..
- كانت مملكته في طوران ببلاد ما وراء النهر ، وتمتد لتشمل ما يسمى بتركستان الشرقية (حالياً إقليم سنغ-يانغ في الصين) .
- وأما عاصمته فكانت مدينة "**كاشـــغر** " التي تتمركز في إقليم صغديانا ؛ وقـــد وجد العلماء الآثاريين فيه كثيراً من التحف الأثرية الرائعة ..و يبدوا أن عاصـــمة أفراسياب كانت على درجةٍ عالية من الحضارة و الرقي والمهارة في فنون الصـــنعة مما أدهش أعداءهم الفاتحين اليونانيين على عهد فاتحهم الإسكندر ؛

وفي هذا المعنى تقول الموسوعة البريطانية "الإلكترونية"\مادة *Sogdiana* \ ما يلي :

"*[[Sogdiana, with its capital of Afrasiab, was already noted for the sophistication and number of its towns when Alexander the Great conquered it in 328 BC]]*

ما ترجمته :

" لقد كانت صغديانا ، بعاصمتها عاصمة أفراسياب وكذلك بعدد من مـــدنها ، قـــد كانت ذائعة الشهرة بتطورها وتفوقها وحذقها ، عندما فتحها الإسكندر العظـــيم ســـنة ٣٢٨ ق. م ."

- و أما أخباره و أخبار احتلاله لبلاد فارس (إيران) فهي كثيرة في كتب الأخباريين الفرس ،و كذلك تشيع في أناشيدهم القومية ؛ ولكنّ هذه الأخبار تُعوزها الدقة بل ويشيع فيها الخلط و التهويل و تداخلها الأساطير ...
- وأما ما صُحِّـــح من أخباره التي وردت في المصادر التاريخية الإسلامية (كـــــ تاريخ الطبري ،و الكامل لابن الأثير، و مروج الذهب للمســـعودي؛و غيرها...) فخلاصته هي كما يلي :

إن أفراسياب هو ملك تركي قوي كان معاصراً للملك الفارسي منـــوجهر ثم إنّ افراسياب التركي غزا بلاد فارس فاحتلّها ومَلَكَها مدة اثنتي عشرة ســـنة ..ثم قـــام بتحريرها زو بن طهماسب وحكم ثلاث سنين ..على النحو التالي الذي يرويه ابـــن الأثير في كتابه الشهير (الكامل ج: ١ ص:١٥٨) :

" لما هلَكَ منوجهر ملك الفرس ، سار افراسياب بن فشنج بن رستم ملك التـــرك إلى مملكة الفرس واستولى عليها وسار إلى أرض بابل وأكثر المقام بها ...وأكثر الفساد في مملكة فارس وعظم ظلمه وأخرب ما كان عامراً ودفن الأنهار والقنا وقحط النـــاس سنة خمس من مُلْكه إلى أن خرج عن مملكة فارس و لم يزل الناس منه في أعظم البليـــة إلى أن مَلَكَ (زو بن طهماسب).

وكان منوجهر قد سخَطَ على ولَدِه طهماسب ونفاه عن بلاده فأقام في بلاد التـــرك عند ملكٍ لهم يقال له وامن وتزوج ابنته فولدت له زو بـــن طهماســـب ... ثم إن منوجهر رضي عن (ابنه) طهماسب وأحضره ..."

ثم إن زو فيما ذكر قَتَل جدّه لأمه (وامن)التركي في بعض الحروب مع الترك (وهؤلاء أتراك آخرون من غير مملكةفراسياب) ، و من ثمَّ اصطدم بافراســـياب التركـــي وطرده عن مملكة فارس حتى رده إلى الترك بعد حروبٍ جرت بين هما؛" فكانت غَلَـــبَةُ افراسياب على أقاليم بابل ومملكة الفرس اثنتي عشر سنة من لدن توفي (منوجهر) إلى أن أخرجه عنها (زو) ؛

وكان إخراجه عنها في (زوزبان) من شهر(أبان ماه) فاتخذ الفرس هذا اليوم لهم عيداً وجعلوه الثالث لعيدَيْهم النوروز و المهرجان .."

- على أنه ثمـــة رواية فارسية أخرى أكثر غرابةً وتهويلاً ذكرها ابـــن الأثـــير أيضـــاً ، و اعتمدها (الفردوسي) شاعر الفرس الأكبر في ملحمته العظيمة " الشاهنامة " لأنها بما فيها من غرائب الأقدا ر و تـــهويل البطولات كانت أصلح مـــن ســـابقتها في أن تكون لملحمته الشـــعرية الـــمهولة !

.. يقول ابن الأثير في الكامل ج: ١ ص: ١٨٨ :

" ذكْـــر مَنْ ملَك الفرس بعد كيقباذ :

لما توفي (كيقباذ) ملَك ابن ابنه (كيكاووس بن كينية بن كيقباذ) فلما ملَـــك حمـــى بلاده وقتل جماعة من عظماء البلاد المجاورة له وكان يسكن بنواحي بلخ وولد له ولد سمـــَّاه (سياوخش)وضمَّه إلى (قائد جيوشه)رستم الشديد بن داستان ،وكان أصبهبذ سجستان وما يليها، وجعله عنده ليربيه فأحسن تربيته وعلمه العلـــوم والفروســـية والآداب وما يحتاج الملوك إليه؛ فلما كمل ما أراد حمله إلى أبيه فلما رآه سُـــَّر بـــه صورةً ومعنًى ...

فسيَّـــرَه أبوه و ضمَّ إليه جيشاً كثيفاً فسار إلى بلاد الترك للقاء (افراسياب) فلمـــا سار إلى تلك الناحية جرى بينهما صلح ؛ فكتب سياوخش إلى أبيه يُـــعـــــرِّفه مـــا جرى بينه وبين افراسياب من الصلح ؛ فكتب إليه والده يأمره بمناهضة افراسياب ومحاربته وفسخ الصلح ، فاستقـــبحَ سياوخش الغدر وأَنِـــفَ منه، فلم ينفِّذ ما أمـــره به أبوه ...

فراسَلَ افراسياب في الأمان لنفْسِه لينتقل إليه فأجابه أفراسياب إلى ذلك ...

ودخل سياوخش إلى بلاد الترك فأكرمه أفراسياب وأنزله وأجرى عليه وزوَّجَـــه بنتاً له يُقال لها (وسْفَافريد) وهي أمُّ كيخسرو فظهر له من أدب سياوخش ومعرفتـــه بالملك وشجاعته ما خاف على ملكه منه ؛وزاد الفساد بينهما بسعي ابني افراسياب وأخيه كندو حسداً منهم لسياوخش فأمرهم افراسياب بقتله فقتلوه ومثلـــوا بـــه وكانت زوجته ابنة افراسياب حاملةً منه بابنه (كيخسرو) فطلبوا الحيلة في إسقاط ما في بطنها فلم يسقط..."

ويتابع ابن الأثير فيقول (الكامل ج: ١ ص: ١٩٠):

"...فلما مات كيكاووس ملَكَ بعده ابنُ ابنه (حفيده)((كيخسرو بن سياوخُش بن كيكاووس)) وأمه (وسفافريد) ابنة افراسياب ملك الترك ؛ فلمـــا ملَـــكَ كتـــب إلى الأصبهبدين جميعهم أن يأتوا بعساكرهم جميعاً فلما اجتمعوا جهز ثلاثين ألفاً مع طوس وأمره بدخول بلاد الترك وأن لا يمر بقرية ولا مدينة لهم إلا قتل كل من فيها ...

ففعل ذلك وسار بالعسكر نحو افراسياب ، فسَيَّرَ افراسياب العساكر إليه فـــاقتتلوا قتالاً شديداً كثرت فيه القتلى وانحازت الفرس إلى رؤوس الجبال وعادوا إلى كيخسرو ...فأمر بجمع العساكر جميعها، وأن لا يتخلَّف أحد فلما اجتمعوا، أعلمهم أنه يريد قصد بلاد الترك ...

فدخلتْ العساكر بلاد الترك من كل جهاتها وأخربتها، لا سيما جودرز فإنـــه قتـــل وأخرب وسبى، وتبعه كيخسرو بنفسه في طريقه فوصل إليه وقد قتل جماعة كثيرة من أهل افراسياب وأثخن فيهم ..."

... ثم تتوالى الهزائم التي منيت بها جيوش أفراسياب .. ثم يهزم أفراسياب نفسه وتـــتمّ ملاحقته حتى يلقى القبض عليه مستخفياً في آذربيجان .." وتنتهي القصة بأن يُـــؤتى بأفراسياب أسيراً ليمثل أمام " كيخسرو" حفيده من ابنته ، فيحاكمه هـــذا و يـــأمر بقتله قصاصاً منه لقتله أباه

في سالف الأيام .

- وهكذا فأنت ترى من خلال الروايتين السابقتين - مدى التخبّط و التخليط في ضبط زمن الأحداث، وفي تحديد هوية الملك الفارسي الذي عاصر غزو أفراسياب التركي لبلاد الفرس وكذلك في تحديد اسم الملك الفارسي البطل الذي حرَّر بلا دهـــم مـــن حكمه !!..

فالرواية الأولى : تزعم أن غزو أفراسياب لإيران كان على عهد الملك الفارســـي منوجهر (وهو من ملوك الطبقة (الأسرة) الأولى) .. و أنّ تحريرهم كان على يد حفيده "زو بن طهماسب " حفيد "منوجهر" من جهة الأب ، وهو كذلك حفيد لـــ(وامن) أحدملوك الترك من جهة أمه .

وأما في الرواية الثانية : فتزعم أنَّ ذلك الغزو كان على عهد "كيكاوُس " (وهو من ملوك الطبقة (الأسرة) الثانية) .. و أنَّ التحرير والنصر كان على يد البطل "

كيخسرو بن سياوخُش " حفيد "كيكاووس" من جهة أبيه ، وهو أيضاً حفيد " أفراسياب" نفسه من جهة أمه !

- والراجح أن أفراسياب كان عهده قبيل فتح الاسكندر المكدوني لبلاد فارس وبلاد ما وراء النهر .. أي ربما في بدايات القرن الثالث قبل الميلاد .. و هكذا فالرواية الأولى هي - فيما يبدو - أقرب إلى الصواب في تحديد زمن أفراسياب .

- ويبدو أن سبب الخلط و التشوش في مرويات الأخباريين الفرس عن أفراسياب يعود إلى أمرين اثنين :

أولهما : أن قريباً مما حصَل مِنْ أفراسياب (في غزوه لبلاد فارس) قد تكرّر مراتٍ ومرات في تاريخ الفرس ، فالثابت تاريخياً –على سبيل المثال - أن الهياطلة ، وهم آخر مَنْ جاور الإمبراطورية الفارسية " الساسانية" من الأتراك ، كانوا قد هاجموها مرات عديدة ، وقتلوا بعض ملوك الفرس وخلعوا بعضاً عن عروشهم و وضعوا بعضاً ، ثم هناك الحقيقة الهامة في أن كثيراً من هؤلاء الملوك الفرس كانوا من أمهات تركيات.

ثانيهما: أن أفراسياب كان -عبر تقادم الأجيال - قد تحوَّل في الوجدان الفارسي و في الموروث الثقافي الفارسي إلى رمز شبه أسطوري يمثّل العدوان و التهديد المستمرّ لبلاد الفرس من جهة " طوران" ، و لذلك رسمت الروايات الفارسية لقصته صورةً موزاييكية بانورامية تتداخل فيها أحداثٌ كثيرةٌ (منها ما هو صحيح ومنها ما هو أسطوري !) من تاريخ الصراع القديم المتطاول بين فارس و طوران (تركستان) .